(٢)
كيفية تأثير القوى الاجتماعية على حاجات التعلم

قبل عشرين عاماً وضع (روبرت هتشنز) الرئيس السابق لجامعة شيكاغو تصوراً للمجتمع المتعلم. لقد عرّف المجتمع المتعلم بأنه المجتمع الذي يهدف إلى توفير فرص التعلم لغير المتفرغين رجالاً كانوا أم نساءً في جميع مراحل حياتهم وهو المجتمع الذي نجح في تعديل قيمه بحيث تصبح قيمة التعلم أمراً انسانياً تسعى لتحقيقها جميع مؤسساته العلمية. وذكر (هتشنز) أن هناك قوتين تدفعان المجتمع لأن يصبح مجتمعاً متعلماً وهما سرعة التغيير وإزدياد وقت الفراغ. لقد رأينا تغيراً سريعاً ولكننا لسنا متأكدين من ازدياد وقت الفراغ. لم يستعمل (ادوارد ليندمان) (١٩٢٦ ـ ١٩٦١) مصطلح المجتمع المتعلم، ولكن تأكيده على تعليم الكبار كان واضحاً. فقد كتب يقول أن هناك أملاً جديداً بدأت تلوح ملامحه وهناك نداءات من مناطق مختلفة تطالب بنوع جديد من التعليم يرتكز على أساس أن التعليم هو الحياة وليس مجرد عملية إعداد لمستقبل مجهول. فالحياة مدرسة لا نهاية لها.

وعلى الرغم من أن هذين المربّيين قد أفصحا عن أفكار متشابهه إلّا أن هناك اختلافاً في وجهات نظرهما إزاء مواضيع عديدة. ففي كتابه عن حياة (ليندمان) قال ستيوارت (١٩٨٧) (ص ١٦٠) إن (هتشنز وليندمان) قد يتفقان على المخرجات كما يمثلها المجتمع المتعلم من وجهة نظر (هتشنز)، ولكن طريقة كل واحد منهما لتحقيق هذه الأهداف مختلفة عن الأخرى. لقد سمعنا في عصرنا الحاضر الكثير عن المجتمع المتعلم وعن التعليم مدى الحياة. ومن الضروري أن يبقى مصطلحا «التعليم مدى الحياة» و «المجتمع المتعلم» متميزين عن بعضهما البعض، على الرغم من أن مصطلح «المجتمع المتعلم» يتطلب التعليم مدى الحياة.

وقد لاحظ (دونالد سميث) نائب رئيس جامعة ويسكنسن عام ١٩٨٥ أن مفهوم التعلم مدى الحياة أخذ ينتشر ويتسع مداه في أمريكا.

ويعتبر هذا النمو استجابة تربوية ضرورية لتعقيدات المجتمع المتزايدة ولتلاشي المعرفة المهنية وبعض أشكال المعرفة العلمية ولتعدد أهداف الفرد في المجتمع كالبحث عن الصحة والرفقة وإذكاء الفكر والعقل. ويضيف سميث قائلاً إن الجنس البشري جنس متعلم بفطرته، وتظهر انسانيتنا بشكل أوضح عندما نكون مشتغلين في التعلم والتعليم. ويقول أيضاً إن المجتمع المتعلم قد يحتوي ويوحد الجماعات المختلفة ذات الأهداف المحددة وكذلك الطوائف العرقية التي تسعى للمحافظة على خصائصها الثقافية. فالمجتمع المتعلم في نظر سميث (١٩٨٥ ص ١٨) يستطيع توحيد نفسه بالرغم من تعدد الفئات المكونة لهذا المجتمع.

ويجب علينا أن ندرك الحاجة إلى مجتمع متعلم. إذ تشير كافة الدلائل: أن الانخراط في التعليم مدى الحياة ضروري للإبقاء على الإنسان في وظيفته أو عمله، وأن الاستمرار في التعلم من ضرورات البقاء.

ولكي نفهم معنى مصطلح «المجتمع المتعلم» علينا أن ندرك تنوع فرص التعلم المتوفرة، لقد ميز كومز (١٩٧٩ ص ٢١٠-٢٣٣) بين أنواع مختلفة من التعليم رسمية كانت أم غير رسمية.

إن التعليم الرسمي يعني التعلم في المدارس والكليات والجامعات وبالتالي الحصول على الدرجات العلمية، أما التعليم غير الرسمي فهو ما نتعلمه من خبراتنا في الحياة أثناء ممارستنا لأعمالنا ونشاطات حياتنا. وهذا التعلم غير منظم ولا يتبع خطة معينة.

والنوع الثالث من التعليم هو ما نتلقاه خارج النطاق الرسمي للمؤسسات التعليمية. وغالباً ما يكون لفترة قصيرة ولتحقيق أهداف معينة، وهو ما نتعلمه من حضورنا للمؤتمرات وورشات العمل والدورات القصيرة.

وخلاصة القول يمكن تصور المجتمع المتعلم على النحو التالي :

١ـ تطبيق عملي لحياة يعيش فيها الناس في عالم سريع التطور والتغير والتعلم مدى الحياة من ضرورات البقاء .

٢ـ الميل للإعتقاد بأن العلم قد يطلب لذاته وليس لتحقيق مصالح عملية خاصة .

٣ـ الاتجاه لتوحيد مجتمع متعدد المصالح والفئات .

٤ـ عصر جديد لتحديد علاقة التربية بالتعلم واعتراف بأن فرص التعليم والقدرة على التعلم أكثر مما تقدمه المؤسسات التعليمية المعروفة .

العوامل المؤثرة على المجتمع المتعلم

لا بد لنا في هذا المضمار من التعرف على القوى الاجتماعية التي تؤثر على عملية التعلم وتحدد مادة التعليم وطبيعته ووسائله، ومن سيقوم بهذه المهمة، وتتلخص هذه العوامل فيما يلي :

الاتجاهات السكانية :

يتقدم المجتمع الأمريكي في السن بسرعة، ففي عام ١٩٧٠، عندما كان عدد سكان الولايات المتحدة ٢٠٣,٧ مليون نسمة كانت نسبة أولئك الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة ١٤٪ أي ما مقداره ٢٨,٧ مليون نسمة . وقد ازدادت هذه النسبة إلى ١٦٪ عام ١٩٨٠ ويتوقع علماء السكان أن تصل هذه النسبة إلى ١٧٪ عام ١٩٩٠ . وأشار (هوج كنسون عام ١٩٨٦ ص ٥) إلى أن عدد الذين تجاوزت أعمارهم الخامسة والستين عام ١٩٨٣ كان أكثر من عدد أولئك الذين تقع أعمارهم ما بين ١٣ـ١٩ عاماً . وقد حصل تغيير في نسبة المواليد الجدد، ففي عام ١٩٦٠ كان معدل المواليد ٢٣,٧ لكل ألف نسمة . وفي عام ١٩٧٥ انخفضت هذه النسبة إلى ١٤,٦، وفي عام ١٩٨١ بدأت النسبة بالارتفاع فوصلت إلى ١٥,٨ لكل ألف نسمه من السكان .

وقد أدى هذا النقص في معدل المواليد إلى نقص عدد من هم بين سن ١٨ و ٢٦ في العقود القادمة، ومن الملاحظ أن معدل المواليد بين الأقليات الأخرى أكثر منه بين الأمريكيين مما يؤدي إلى ازدياد عدد تلك الأقليات. ولكننا اليوم نشهد ازدياداً سريعاً في عدد النساء في سن الاخصاب مما سيؤدي إلى ازدياد عدد المواليد بين الأمريكيين من الجنس الأبيض.

ولا بد لنا أيضاً من دراسة أنماط الهجرة، فعلى سبيل المثال في عام ١٩٨١ كانت نسبة المهاجرين من آسيا وأمريكا اللاتينية ٨١٪ من أصل ٦٠٠,٠٠٠ مهاجر بطريقة مشروعة إلى الولايات المتحدة. وكان أكثر هؤلاء المهاجرين من فيتنام وكوريا والفلبين. وسيكون لهذه التغييرات السكانية أثر واضح على جميع مؤسسات المجتمع وخاصة المؤسسات التعليمية.

الظروف الاقتصادية:

شهدت الولايات المتحدة خلال الخمس وعشرين سنة الماضية تحولاً جذرياً في طبيعة اقتصادها. فبدلاً من التركيز على انتاج السلع أصبحت تركز على تقديم الخدمات. ففي عام ١٩٧٠ كانت نسبة العاملين في المصانع ٢١,٨٪ بينما انخفضت هذه النسبة إلى ١٩,٢٪ عام ١٩٨٠.

وفي عام ١٩٧٠ كانت نسبة المزارعين ٣,٨٪ ولكن هذه النسبة انخفضت إلى ٢,٩٪ عام ١٩٨٠. وقد فقد عدد كبير من العمال أعمالهم نتيجة لهذا التحول. فقد باع آلاف من المزارعين مزارعهم في العقد الأخير أو فقدوها فأصبحوا ضحايا الظروف المتغيرة. فكان على هؤلاء المزارعين أن يبحثوا عن أعمال أخرى قد لا تناسبهم، وهذا ما حدث لكثير من عمال المصانع الأخرى.

وقد أثرت هذه التغييرات على المجتمع المتعلم. فأصبح هؤلاء المزارعون الذين فقدوا أعمالهم بحاجة إلى تأهيل وتدريب جديدين يتناسبان والأعمال الجديدة التي تحولوا

للعمل فيها. والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكن تقديم هذه البرامج والخدمات لهم ومن هو المسؤول عن ذلك؟

القوى العالمية:

تنتمي الولايات المتحدة إلى مجتمع عالمي تتحكم به مئات الوسائل والسبل في نواحٍ عـدة. وقد شعرنا بذلك بشكل مفاجىء عام ١٩٧٣ عندما قررت منظمة الدول المصدرة للنفط الخـام زيادة أسعاره والذي نجم عنه التضخم ناهيك عن نقص البترول الملحوظ ومثال آخر هو أننا عندما نزود متجراً للأدوات الكهربائية ندرك مدى اعتمادنا على اليابان وخاصة عندما نشاهد أن عدداً كبيراً من الأجهزة الكهربائية التي نستعملها مصنوعة في اليابان. كما أن دراسة العجز التجاري في ميزانية الولايات المتحدة تدل على حجم ما تستـورده من الدول الأخرى. فقد بلغ العجز التجاري عام ١٩٨٠، ٢٥,٥ بليون دولار. وفي عام ١٩٨٢ ارتفع إلى ٣٦,٤ بليون دولار. وقد ارتفع هذا العجز إلى ١٤٦,٤ بليون دولار عام ١٩٨٦. وكل ذلك يدل على مدى تأثرنا بما يحدث في الأسواق العالمية بسبب حاجتنا إليها وعلاقاتنا بها.

ويعتبـر أثـر المجتمـع العالمي على المجتمع المتعلم مثل مجتمعنا في الولايات المتحدة عميقاً، فقد بدأنا نرى أن لغات آسيوية تستعمل في التعليم في المدارس العامة. وبـدأنـا نلاحظ الإعـلان عن دورات قصيرة لرجال الأعمال الأمريكيين لتعريفهم على الميزات والخصائص الثقافية اليابانية. وقد نلاحظ تغيراً جذرياً في المبادىء الأساسية الأمريكية نحو الشعوب والثقافات الأخرى نتيجة لهذه التأثيرات العالمية.

التكنولوجيـا:

يؤثـر التقـدم التكنـولـوجي على المجتمـع بصورة متزايدة. فقد أصبحت الأجهزة الأوتـومـاتيكية الآلية وأجهـزة الكمبيوتـر مألوفة جداً في كثير من المصانع في الولايات المتحـدة. وقـد قدمت لنـا التكنولوجيا أجهزة دقيقة كثيرة كالآلات الحاسبة وغيرها من الآلات الإلكترونية الدقيقة.

وقـد اثـرت التكنولوجيا أيضاً على عملية الاتصالات وتخزين المعلومات والإعلام كذلك يقول (نايسبت ١٩٨٢) إننا قد تحولنا من مجتمع صناعي إلى مجتمع معلومات. لقد أوجدت التكنولوجيا ثورة جديدة في ميادين تخزين ونقل المعلومات وطرق التعامل معها.

وفي الحقيقـة يمكن القـول بأن حجم المعلومـات يتضـاعف في العالم كل سبع سنوات. ويؤثر هذا التقدم التكنولوجي على المجتمع المتعلم بطرق عديدة.

فقد ينجم عنه من ناحية عملية فقدان عدد كبير من المستخدمين لوظائفهم، وهذا المثـال ينـطبق على مجـال الصحـافـة حيث تمكن الكمبيوتـر من طرد عدد كبير من الصحافيين. وقد يحتاج عدد آخر من الموظفين لاعادة تدريبهم بشكل يتناسب والتقدم التكنولوجي.

وتقدم تكنولوجيا المعلومات خير دليل على تأثير التكنولوجيا على المجتمع المتعلم من حيث توفير كميات هائلة من المعلومات للناس. وهذا يثير عدداً من التساؤلات: كيف نحدد دقة المعلومات المتوفرة؟ ومن الذي يقرر نوع المعلومات التي ستوفر للمجتمع؟ وغيرها من الأسئلة المبررة، وتصبح هذه التساؤلات مهمة جداً وخاصة عندما نفكر بقضية الأمن القومي والسياسة الوطنية كذلك.

ما هو دور المؤسسات التعليمية بخصوص تخزين ونشر هذه المعلومات. وما هو دور المكتبات ومراكز الكمبيوتر؟ ماذا تعني المناهج عندما تتوفر المعلومات بشكل كبير؟

ويحذرنا (روزاك) (١٩٨٦ : ٨٧-٩٠) من مغبة عدم التمييز بين الأفكار والمعلومات والعلاقة بينهما. فالمعلومات بالرغم من سرعة انتشارها هي، مجرد حقائق منفصلة قد تكون نافعة أو ضارة. أما الأفكار فهي الأنماط المتكاملة التي تجيب على تساؤل العقل عندما يسأل عن معنى شيء ما أو عن سبب حدوثه.

ويجب ألا يخدعنا الاعتقاد القائل بأن المزيد من المعلومات يزيد من قدرتنا على

حل المشكلات. فأجهزة الكمبيوتر توفر لنا كميات هائلة من المعلومات، ولكن هذه المعلومات بالرغم من تطورها لا يمكن أن تحل مكان الفكر المبدع الخلاق، على الرغم من أنها مفيدة في حفز العقل على التفكير والإبداع.

الأميـــــة:

لم تستطع الولايات المتحدة الأمريكية حلّ مشكلة الأمية حتى الآن على الرغم من كثرة المعلومات المتوفرة وفرض نظام التعليم الإلزامي كذلك. ويشير (كوزول) ١٩٨٥ إلى أن هناك خمسة وعشرين مليون نسمة من الأميين الذين لا يستطيعون قراءة النشرة الملصقة على زجاجة السم، بالإضافة إلى خمسة وثلاثين مليون نسمة من الذين لا يجيدون القراءة والكتابة بشكل يعينهم على العمل الفعال في المجتمع. وقد خلص (ستيدمان وكاسل) عام ١٩٨٧ نتيجة مفادها أن ٢٠ـ٣٠٪ من السكان يواجهون مشكلة في القراءة والكتابة. وهما لا يعتقدان أن نسبة الأمية تزداد في المجتمع، لكنهما يؤكدان على ضرورة الحاجة إلى إزالتها ومحوها في تزايد مستمر ويضيفان بأن المجتمع الأمريكي بحاجة إلى تكثيف الجهود والبرامج لمحو الأمية: أمية القراءة والكتابة وأمية الثقافة السياسية.

وباختصار فإن المجتمع المتعلم يعني قدرة الناس على القراءة والكتابة بشكل جيد وناقد يميز بين الصواب والخطأ. ولذلك فمن الضروري أن يخصص هذا المجتمع جزءاً كبيراً من طاقاته وثرواته لمحو الأمية التي تعتبر حجر الزاوية الأساس في هذا المجال. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بمعالجة الأسباب الجذرية لهذه الظاهرة وهي الفقر والمبالغة في مشاهدة التلفاز والتعليم الرسمي الذي يسمح لمن لديه كفاءة قليلة بالتخرج دونما حاجة إلى برامج تعتبر بمثابة علاج.

تغير الافتراضات الأساسية:

إن التغيير في الأفكار والافتراضات يؤثر على المجتمع. يقول الفيزيائي (فريتجوف كابرا) (١٩٨٣) إن «مجتمعنا يمر في مرحلة تغير للأفكار والقيم والمفاهيم ويشتمل هذا التحول على المفاهيم المتعلقة بالإنسان ودوافعه، والمنافسة والتعاون، وقيمة الفرد

وعمله. ويضيف (كابرا) قائلاً إن نمط القيم والمفاهيم السائدة حالياً في المجتمع الأمريكي يتضمن الاعتقاد بأن الطريقة العلمية هي السبيل الوحيد للمعرفة وأن الكون يتكون من جزئيات صغيرة وأن الحياة في المجتمع عبارة عن صراع وتنافس على البقاء وأن التقدم التكنولوجي والاقتصادي يحقق تقدماً مادياً غير محدود.

ويعلق (الفين توفلر) ١٩٨٠ على هذا الوضع قائلاً إن التقدم المادي والتكنولوجي لا يعني شيئاً إذا كان المجتمع يعاني من انحطاط خلقي وسياسي وبيئي.

نستنتج مما سبق أن المجتمع المتعلم يقع تحت تأثير قوى وعوامل اجتماعية كثيرة تؤثر على طبيعته ومساره. وهذه العوامل تؤثر على المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات، ولا يمكن للفرد أو المجتمع أن ينجو من هذه المؤثرات، والسؤال المثير للإهتمام الذي يطرح نفسه هنا هو هل سيبقى المجتمع المتعلم واقعاً تحت تأثير هذه العوامل أم سيصبح قوة مؤثرة على غيره من العوامل الآخرى؟

الخلاصـــة

لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً متعلماً، ويعتبر مبدأ التعليم مدى الحياة حجر الزاوية لهذا المجتمع الذي وصف سابقاً بأنه:

١ـ فكرة عملية ما دام كل واحد منا ينبغي أن يتعلم من أجل البقاء في مجتمع يتغير بسرعة مذهلة.

٢ـ اتجاه لطلب العلم لذات العلم.

٣ـ واتجاه لتوحيد المجتمع بفئاته المختلفة.

٤ـ ورمز لتحديد العلاقة بين التربية والتعلم.

ويقع هذا المجتمع تحت تأثيرات اجتماعية مختلفة: مثل الاتجاهات السكانية والظروف الاقتصادية، القوى العالمية، التكنولوجيا، الأمية، وتغير المفاهيم الأساسية. تؤثر هذه العوامل كلها على المجتمع المتعلم ولكن كم من هذه العوامل والقوى سيتأثر بالمجتمع المتعلم المتغير؟